الحديث التاسع والعشرون
«من طرق الجنة والوقاية من النار»

عن معاذ بن جبل (رضي)، قال: قلت: يا رسول الله، اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: لقد سألتَ عن عظيم، وإنه ليسير على من يسّره الله «تعالى» عليه: تعبُد اللهَ، لا تشركُ به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصومُ رمضان، وتحجُ البيت، ثم قال له: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصومُ جُنّة، والصدقةُ تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، وصلاةُ الرجل في جوف الليل، ثم تلا: تتجافى جنوبهم عن المضاجع... حتى بلغ «يعملون»، ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده، وذِرْوة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الاسلامُ، وعمودُه الصلاة، وذِروةُ سنامه الجهاد، ثم قال: ألا اخبرك بِملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يارسول الله، فأخذ بلسانه، ثم قال: كفَّ عليك هذا، قلتُ: يا نبيَّ الله: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثَكِلتْكَ أمُّك يا معاذ، وهل يُكبُّ الناسَ في النار على وجوههم، أو قال: على مناخِرِهم إلا حصائدُ ألسنتهم؟! رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[1].

٢ ـ روايات والفاظ اخرى:

* قال ﷺ: لرجل غير معاذ: لئن كنت أوجزت المسألة لقد أعظمتَ وأطولت.
* وقال: اعملوا فكل ميسر لماخلق له.
* وفي رواية في البخاري: ان رجلاً، قال للنبي ﷺ: اخبرني بعمل يدخلني الجنة، قال: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم»، وخرجه

(١) طعن ابن رجب في ذلك، وضعّف روايات الحديث، فهو بذلك حسن لغيره على رأيه ص٢٣٦/ الجامع.

مسلم، الا ان عنده، انه قال: ويباعدني من النار. وعنده ايضاً في رواية: فلما أدبر قال ﷺ: «ان تمسك بما أمر به دخل الجنة».

* وفي الصحيحين: ان اعرابياً قال: يارسول الله، دلني على عمل اذا عملته دخلت الجنة، قال: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال: والذي بعثك بالحق لا ازيد على هذا شيئاً ابداً ولا أنقص منه، فلما ولّى، قال ﷺ: من سرّه ان ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا»

* وورد في الصوم: الصوم جنة من النار.

* وورد في الصدقة: انها تطفيء غضب الرب وتدفع ميتة السوء.

* وروى ان رجلاً، قال: يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة، قال: امسك هذا، واشار الى لسانه، فاعادها عليه، فقال: ثكلتك امك[1]، هل يكب.

* وفي رواية: أنه قال لمعاذ: ان شئت حدثتك برأس الامر هذا، وقوام هذا الدين وذروة السنام، قلت: بلى، فقال: ان رأس هذا الامر: أن تشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك، وان محمداً عبده ورسوله، وان قوام هذا الدين إقام الصلاة وإيتاء الزكاة . . . الخ[2]. * وفي نسخ: من جوف بدل في جوف.

٣ ـ أهمية الحديث:

* ماتمتاز به هذه الرواية: انها جمعت اركان الاسلام الخمسة، ورأس الامر وذروة سنامه، وعموده، وبيان شدة خطر اللسان، وان به قوام الامر كله وملاكه، وان من جهته معظم اسباب دخول النار، فهو بذلك قد جمع الاسلام وما يدخل الجنة في أمرين اثنين: فعل الفرائض والتقرب الى الله ببعض النوافل واهمها قيام الليل، واجتناب المحرمات، واعظمها ما يكون من اللسان.

---

(١) أمك، هل يكبُ الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد السنتهم» الجامع ص٢٤١، وقال البزار: اسناده حسن.

(٢) الجامع ص٢٤٠.

٤ ـ شرح الحديث:

أ) البيان اللغوي:

* يدخلني: يكون سبباً لدخول الجنة، فإن قبول العمل يكون بمحض فضل الله، الذي به دخول الجنة، وقد يكون المعنى: يدخلني الله به الجنة.
* يباعدني: أبلغ من يبعدني، لان صيغة المفاعلة للمبالغة.
* تعبد: استئناف وقع بياناً لذلك الامر العظيم، اي هو أن تعبدَ، فحذفت أنْ، ورجع الفعل الى الرفع[1]، والمراد بقوله؛ تعبد الله: التوحيد، بدليل قوله: لاتشرك به شيئاً، فانه تأكيد له، ويحتمل بقاؤه على ظاهره: أي تأتي بجميع انواع العبادة حال كونك مخلصاً، ويكون عندئذ قوله: وتقيم الصلاة، عطف خاص على عام؛ إذ أن العبادة هي الغاية القصوى من ابداع الخلق وارسال الرسل: «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون».

والعبادة: هي غاية الخضوع والتذلل مع غاية الحب والتعظيم لله تعالى، وهي في الاسلام تطلق على كل ما اريد به وجه الله تعالى، وقصد به التقرب والشكر والتعظيم لله واعظمها اركان الاسلام؛ واعظم ذلك كله: الاحسان[2].

* الا ادلك: ارشدك، وألا: اداة عرض برفق، وهو متضمن للحث، اي عرضت ذلك عليك، فهل تحبه؟
* ابواب الخير: طرقه واسبابه الموصلة اليه.
* جُنّة: وقاية من النار في الآخرة، ومن سَوْرة الشهوة في الدنيا، ومعنى جُنة في اللغة: ما يُستجنّ به كالمجن الذي يقي من الضرب عند القتال.
* تطفيء الخطيئة: تمحو أثرها، ان كانت من الصغائر، وغير متعلقة بحقوق العباد، وفي رواية: تطفيء غضب الرب، كما سبق.

---

(١) أرجع للقسم الثاني.

(٢) والعبادة لغة من الذلة، يقال: طريق معبد: مذلل، وفي الشرع: ما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف/ الاتحافات ص٢٣. وقال ابو الاعلى المودودي: الخضوع والتذلل، اي استسلام المرء لواحد، استسلاماً لا مقاومة معه، ولا عدول عنه، وعليه تقول العرب. بعير معبّد: السلس المنقاد، وطريق معبد: الممهّد بكثرة الوطء. العبادة: الطاعه مع الخضوع/ راجع المصطلحات الاربعة: الاله: الرب، العبادة/ الدين/ ص٩٣.

* في جوف الليـــل: اثنـاء الليـل، وروي: من جوف الليـل، قال ابن رجب: اذا أطلق جوف الليل، فالمراد به وسطه، وان قيل: جوف الليل الآخر: فالمراد به وسـط النصف الثـاني، وهـو السـدس الخـامس من اسـداس الليل، وهو الوقت الذي نزل فيه قوله تعالى: «أوزد عليه . . .» وقوله: ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل . . .[1].

* تتجافى: تتنحى وتبتعد. * المضاجع: مواضع النوم.

* يدعون: يعبدون ربهم خوفاً من سخطه، وطمعاً في رحمته، ويتصدقون مما رزقهم الله، فلا تعلم نفس: لا ملك مقرّب ولا نبي مرسل، ما أخفي لهم من قرة أعين: أي ما تقرّ به عيونهم سروراً من الثواب، جزاءً بما كانوا يعملون[2].

* رأس الامر: أصل الدين فان الاسلام منه بمنزلة الرأس من الحيوان.

* عموده: اي بمنزلة العمود للبيت.

* ذروة سنامه: الذروة بكسر الذال وضمها، وفتحها، والكسر أفصح ويليه الضم: أي أعلاه والسنام، بفتح السين: ما ارتفع من ظهر الجمل، والمقصود به التشبيه[3].

* قلت بلى: اي أخبرني

* مِلاك ذلـك: ويجـوز فتـح الميم: اي بما يملكـه ويضبطـه، او بما يقـوم مقام تلك العبادات بأسرها، والمقصود: بيان فضيلة كف اللسان عن المحرمات.

* فأخذ بلسانه: الباء زائدة * كُفَّ: امنع عنك آفات هذا اللسان، او احبسه.

* وإنا لمؤاخذون: استفهام تعجب واستغراب، اي هل نحاسب هذا الحساب الشديد؟!

* ثكلتك: فقدتك، * هل يكب: يلقى والاستفهام انكاري بمعنى النفي.

* او قال: شك من الراوي.

---

(١) سورة المزمل/ وانظر جامع العلوم ص٢٤٠.

(٢) هذا تفسير مجمل للآيتين من سورة السجدة، وهما: تتجافى جنوبهم عن المضاجع، يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون.
* فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون» آية ١٦، ١٧.

(٣) انظر القسم الثاني من هذا الشرح.

* مناخر: جمع منخر بفتح او كسر الميم: ثقبة الانف والمراد به نفس الانف.
* حصائد بمعنى محصودة، من حصد الزرع: قطعه، اي محصودات الالسنة: وهي ما تلفظه وتقطعه من الكلام القبيح كالكذب ونحوه، وقصر الكب عليه للمبالغة لكثرة آفات اللسان، والمراد هنا: جزاء الكلام المحرم وعقوباته.
* الصدقة: المراد صدقة السر كما ورد في رواية.

ب) المعنى الاجمالي:

هذا الحديث جمع أعظم أصول الدين والاسلام، واهم الاعمال التي تدخل الجنة وتباعد من النار، وقد جمع أربعة أصناف من العمل:
١ ـ أركان الاسلام الخمسة ٢ ـ أعظم النوافل: قيام الليل، وصدقة السر، والصوم. ٣ ـ أعظم فروض الكفاية: الجهاد، والذي قد يتعين. ٤ ـ كفّ اللسان عن المحرمات.

٥ ـ بعض مايرشد اليه الحديث:

* بيان فضيلة كف اللسان عن الامور التي توجب البعد من مواهب الحق سبحانه.
* شدة اهتمام الصحابة (رضي)، على تفاوت بينهم في ذلك، بالاعمال الصالحة، وبدخول الجنة والنجاة من النار.
* الاعمال سبب لدخول الجنة، ولكن بفضل الله ومشيئته.
* دخول الجنة، والنجاة من النار، من الامور العظيمة، التي انزل الله لاجلها الكتب وارسل الرسل.
* التوفيق والتيسير الى الخير وابوابه كله بيد الله تعالى، ولا يسير الا ما يسره، ولا سهل الا ما جعله سهلاً.
* أفضل انواع التطوع التهجد بالصلاة، ويلي ذلك: صدقة السر.
* أفضل الاعمال بعد الاركان هو الجهاد في سبيل الله.
* ان كف اللسان هو اصل الخير كله، ومن ملك لسانه، فقد ملك أمره واحكمه.

* أكثر ما يدخل الناس به النار النطق بالسنتهم.
* ضرورة استعمال اساليب التشويق في التعلم والوعظ.
* مشروعية الاقتباس من القرآن والسنة.
* أفضل اوقات التهجد وسط الليل «وسط النصف الثاني»، اذ في هذا الوقت، ينزل الله تعالى نزولاً يليق بجلاله، ويقول: هل من داع فأستجيب له وهل من سائل فأعطيه، وهل من مستغفر فأغفر له، ولذا ورد: ان الدعاء فيه مستجاب، روي: «يارسول الله، أي الدعاء أسمع؟ قال: جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات»[1].

٦ - بعض تطبيقات الحديث:

* من آراء الصوفية: ان الشرك عندهم هو: رؤية ضر أو نفع او عطاء او منع من غير الله، بل الغفلة عن الله، وخطور ماسواه!!، قال ابن الفارض:

ولو خطرت لي في سواك ارادة على خاطري يوماً حكمت بردّتي[2].

* كان ﷺ يقول في دعائه: «واهدني ويسّر الهدى لي».
* وكان ابن عمر (رضي) يدعو: اللهم يسرني لليسرى وجنبني العسرى[3].
* روي عن علي بن الحسين (رضي): انه كان يحمل الخبز على ظهره بالليل، يتتبع به المساكين في ظلمة الليل، ويقول ان الصدقة في ظلام الليل تطفيء غضب الرب عز وجل[4].
* قال ابن مسعود (رضي): فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية.
* شرع للمؤذن في اذان الفجر ان يقول في اذانه: الصلاة خير من النوم[5].
* روى مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه: ان عمر دخل على ابي بكر (رضي) وهو يجبذ لسانه، فقال عمر: صه غفر الله لك[6]، فقال ابو بكر: هذا الذي اوردني

---

(١) جامع العلوم ص٢٣٩.
(٢) شرح الشرنوبي/ ص٣٣. (٣) الجامع ص٢٣٧. (٤) الجامع ص ٢٣٨.
(٥) الجامع ص٢٣٩.
(٦) اي كف عن هذا الفعل.

الموارد.

* وقال ابن بُريدة: رأيت ابن عباس (رضي) أخذ بلسانه وهو يقول: ويحك، قل خيراً تغنم، او اسكت عن سوء تسلم، والافاعلم أنك ستندم، قال: فقيل له: يا ابا عباس، لم تقول هذا؟ قال: بلغني ان الانسان، اراه قال: ليس على شيء من جسده أشد غيظاً يوم القيامة، منه على لسانه، الا من قال به خيراً او أملى به خيراً[1].

* قال الحسن البصري: اللسان امير البدن، فاذا جنى جنت الاعضاء واذا عف عفت.

* وقال يونس بن عبيد: ما رأيت احداً لسانه منه على بال «اي يهتم بكلامه» الا رأيت ذلك صالحاً في سائر عمله.

* وقال يحيى بن ابي كثير: ما صلح منطق رجل الا عرفت ذلك في سائر عمله ولا فسد منطق رجل، الا عرفت ذلك في سائر عمله.

* وعن يونس بن عبيد: لاتجد شيئاً من البر واحداً يتبعه البر كله غير اللسان[2].

٧ ـ مناقشة حول الحديث:

س١) في الحديث اسلوب تربوي، وضحه؟ جـ١) التشويق الى ما سيذكره له، ليكون اوقع في النفس «ألا أدلك . . .» «سألت عن عظيم»، «وإنه ليسير»، فكلها مثيرة للرغبة وحافزة للنشاط.

س٢) اذكر تمام الآيتين اللتين استشهد بهما الرسول ﷺ؟

س٣) لماذا استشهد با لآيتين؟ جـ٣) لانه حذف خبر: صلاة الرجل، اشعاراً بان لها فضلا كثيراً لايدرك كنهه وحقيقته، بدليل: فلا تعلم نفس ما اخفي لهم».

س٤) لماذا اعتبر اللسان ملاك سائر الاعمال؟ جـ٤) لانه يقوم مقام تلك العبادات من حيث انها غنيمة، وكف اللسان عن المحارم سلامة، والسلامة

---

(١) الجامع ص٢٤١، ٣٤٢.

(٢) الجامع ص٢٤٢.

مقدمة في نظر العقلاء، على الغنيمة[1].

س٥) ما الفرق بين قوله: امسك عليك لسانك، وبين ما فعله النبي ﷺ، وما الاشارة التربوية في قوله: كف عليك هذا مع امساكه؟

ج٥) هذا الفعل منه ﷺ فيه من التنبيه على عظم جُرمه مع صغر جِرمه ما ليس في قوله: امسك عليك لسانك، وهو وسيلة إيضاح وتشويق.

س٦) ورد ان معاذ بن جبل اعلم الامة بالحلال والحرام، فكيف استغرب خطر اللسان؟

جـ٦) لعل هذه الشهادة كانت بعد هذا الحديث كما هو ظاهر.

س٧) هل المراد من قوله ﷺ: ثكلتك الدعاء عليه بالموت؟

جـ٧) لا، وانما هو مما جرت به عادة العرب عند التعجب، فهي من الالفاظ التي تجري على السنتهم بقصد التأديب.

س٨) هل القصر في قوله: الاحصائد . . . حقيقي ام اضافي[2].

س٩) ما المراد من قوله ﷺ: لن يدخل الجنة احد منكم بعمله.

جـ٩) عدم استقلال العمل بذلك، ولولا فضل الله وارادته ما كان العمل سبباً لذلك.

س١٠) بين هذا الحديث، وحديث ٣٨، شبه واضح، بيّنه؟

جـ١٠) في هذا الحديث: لما رتب دخول الجنة على واجبات الاسلام، دَلّه بعد ذلك على ابواب الخير من النوافل، فان افضل اولياء الله المقربون الذين يتقربون اليه بالنوافل بعد اداء الفرائض، وهو عين ما نطق به حديث ٣٨.

س١١) ورد في حديث: ان الصوم جنة مالم تخرقها، فبماذا يكون الخرق؟

جـ١١) بالرفث والفسوق والجهل كما ورد في حديث آخر[3].

س١٢) اذكر بعض فوائد قيام الليل؟

جـ١٢) في حديث: عليكم بقيام الليل، فانه دأب الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل قربة الى الله عز وجل، ومنهاة عن الاثم، وتكفير السيئات،

---

(١) شرح الشرنوبي/ ص ٣٤.

(٢) راجع القسم الثاني من الشرح.

(٣) انظر جامع العلوم ص٢٣٨

ومطردة للداء عن الجسد[1].

س١٣) اذكر حديثاً في فضل الجهاد؟ جـ١٣) «ابو ذر، قلت: يارسول الله، اي العمل افضل؟ قال: ايمان بالله، ثم جهاد في سبيل الله» في الصحيحين[2].

س١٤) للحديث ارتباط شديد بحديث ١٥ ـ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً . . . وضح ذلك؟ جـ١٤) هذا الحديث يأمر بامساك اللسان الا عن الخير، وهو معنى حديث ١٥، وان كان في حديث ١٥، تفصيل لاجمال ما في هذا الحديث، الذي جاء بصورة الاطلاق في كف اللسان.

س١٥) اذكر بعض اخطار اللسان وآفاته.

جـ١٥) أعظمها: كلمة الشرك، والقول على الله بغير علم، وشهادة الزور، والسحر والقذف، والكذب، والغيبة، والنميمة.

س١٦) اذكر حديثاً يبين شدة خطر اللسان؟

جـ١٦) «ان الرجل ليتكلم بالكلمة لايرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار»[3].

س١٧) اذكر الفرق بين العبادة والعبودية؟

جـ١٧) العبودية اظهار التذلل، والعبادة: غاية التذلل، وهي تقترن بالمحبة دائماً بخلاف العبودية، فأساسها الخوف فقط

س١٨) العبادة نوعان، ما هما؟

جـ١٨) ١) عبادة بالتسخير، وهي الدلالة الصامته المنبهة على كونها مخلوقة وانها خلق فاعل حكيم، وتكون للحيوانات والجمادات والانسان.

٢ ـ عبادة بالاختيار، وهي للناطقين العاقلين فقط، وهي المأمور بها في

---

(١) جامع العلوم/ ص٢٣٩

(٢) الجامع ص ٢٤١.

(٣) الجامع ص٢٤١.

الحديث، وتأتي بمعنى الطاعة: «ان لاتعبدوا الشيطان»

س١٩) ما فائدة قوله: ويباعدني من النار، بعد قوله: يدخلني الجنة؟

جـ١٩) ان لايدخلني الجنة بعد دخول النار كعصاة هذه الامة.

س٢٠) في الحديث تفسير للفظ شهادة التوحيد، وضح ذلك؟

جـ٢٠) وضع قوله: تعبد الله لاتشرك به شيئاً، موضع: تشهد ان لا اله الا الله بقرينة ذكر بقية اركان الاسلام الخمسة المذكورة في حديث جبريل وحديث: بني الاسلام على خمس وغيرهما.